الآثار الاجتماعيـــــة للشائعات وطـــــــرق مقاومتها

د. آمنـــــــــــة فرج المغزازي ـ كلية التربية ـ جامعة طرابلس

المُقـــــدمة :

إن المتتبع لموضوع الشائعات يجد أنها قديمة في حياة الإنسان ، ولها تاريخ طويل ، حيث إن أباطرة الرومان كانوا يعانون من الإشاعات التي تنتشر بين شعوب المدن والقري ، وكانوا يحاربونها باستخدام بعض الأشخاص الذين يكلفونهم بالاختلاط بالناس ومعرفة ما يبثون من إشاعات ثم ـ يعملون على إطلاق إشاعات أخرى مضادة لها لعل ذلك لدحضها أو للتخفيف من حدتها ، وبما أن الشائعات هي من خلق الإنسان فهي مرتبطة بوجوده قدماً وحديثا فهي موجودة على مرور الأزمنة ، وهي ترتبط ارتباطا وثيقاً بالأساطير، بل إن بعض الباحثين يعتبرون أن الشائعات عبارة عن أساطير معدلة .

وغالباً ما تنتشر في زمن الحرب النفسية أو في أوقات التوتر أكثر من انتشارها منها في زمن السلم وأوقات الهدوء و الاستقرار؛ لأنها تستعمل كسلاح مدمّر نفسياً، ويخلق الفرقة والتشتت بين الأفراد والمجتمع وبين المجتمعات بعضها ببعض ، وهي تلعب دورًا أساسيا في دعم اتجاهات التماسك الدّاخلي داخل البلد ، وغالباً ما تستعمل - أيضا - في الحروب وهي ما يسمى بإشاعات الكراهية التي تعمل على شق صفوف العدو وبثّ روح اليأس بين أفراده.

والإشاعة تحتاج لحبك ومهارة وتحتاج لفبركة ؛ لأن لها دائما موضوعا يتركز في الغموض ، وأهمية الموضوع المراد بث الإشاعة فيه ، ولهذا فيمكن أن نقول إن فرصة انتشارها تزيد كلما ازدادت درجة الانسجام والتناسق بين شكل الإشاعة وصياغتها ، وتزداد سرعة انتقالها كلما كان الوسط إلي يبث فيه مستعداً لتقبلها وكلما كانت مختصرة .

والمجتمع الليبي شأنه شأن أي مجتمع آخر عانى من الشائعات وتأثيرها على نسيجه الاجتماعي ، ووضعه السياسي ، والاقتصادي ، والأمني ، وبث الرعب والمخاوف لدى المواطنين ، خاصة بعد التغيرات التي طرأت عليه في الفترات الأخيرة ، مما هدّد كيان المجتمع واستقراره .

أهمية الدراسة :

تكمن أهمية هذا الدارسة في التركيز على موضوع الشائعات وأسبابها وكيفية الترويج لها كحرب نفسية للوصول إلى آليات التعامل معها ..وخاصة بعد انتشارها بقوة في مجتمعنا الليبي بكل الوسائل وخاصة ما يتعلق بوسائل التكنولوجيا والتي تعتبر من أقوى وسائل ترويج الشائعات وانتشارها ..ومع كثرة الأحداث ووجود الكم الهائل من المعلومات تزداد خطورتها ويتسع نطاقها وتزداد بذلك الفوضى في المجتمع ....وتكمن أهمية هذا البحث في التعرف على أسباب الشائعات وأثارها ومن تم وضع آليات للتصدي لها .

الاشكاليات :

نظراً لما تلعبه الشائعات من أدوار قد تضر بالمجتمع وتبث الفتن فيه ، وتفرق بين أبنائه وخاصة ممن هم مختلفون في الانتماء السياسي أو الاجتماعي وغيره ، بالإضافة إلى الإضرار بمصالح الأفراد والمجتمعات ...وتعيق تفكير الفرد وتجعله يعيش في دوامة التصديق من عدمه في عدم وضوح الصورة ...وفي مجتمع مثل مجتمعنا الليبي مع نقص غياب وعي الأفراد وانعدامه أحياناً ، وفي الفوضى العارمة في كل المجالات ، ومشاكل السياسة والحروب ، كان لابد من التصدي لهذا الموضوع ، منطلقين من التساؤل الآتي :

كيف تنتشر الشائعات ؟ وما أسبابها وأثارها الاجتماعية ؟ وما التأثير النفسي للشائعات على الأفراد والمجتمعات ؟ وكيف يمكننا التصدي لها ؟

ونحن في هذه الورقة البحثية سنتحدث بشيء من الإيجاز حول موضوع الشائعات حيث سيتم التركيز على أربعة محاور موزعة كالآتي :

المحور الأول : مفهوم الإشاعة وعناصر تكوينها ، والمحور الثاني: تصنيف الشائعات ،والمحور الثالث: القوانين التي تخضع لها الإشاعة في تنقلاتها ، والمحور الرابع: الآثار الاجتماعية للشائعات وطريقة مقاومتها والقضاء عليها .

المحور الأول: مفهوم الشائعة وعناصر تكوينها :

أولا ـ مفهوم الشائعة :

المفهوم اللغوي للشائعات : الإشاعة لغة مشتقة من الفعل (أشاع) أما الشائعة فهي اشتقاق من الفعل شاع ، فالشيء يشيع شيوعاً وشياعاً ومشاعاً ظهر وانتشر ، يقال شاع بالشيء أذاعه ، ويقال شاع الشيب، أي: انتشر وشاع الخبر ذاع ، ورجل شياع ، أي: مشياع لا يكتم سرّاً(1)

وتمثل الشائعات أحد أسلحة الحرب النفسية ، وتبرز خطورة الشائعة في قيام بعض فئات من المواطنين الخارجين عن القانون في استخدام الشائعة في تحقيق أهدافهم الإجرامية ، الأمر الذي يهدد أمن المجتمعات واستقرارها ـــ وقد أورد مختصون في هذا المجال العديد من التعريفات نورد أهمها :

1ـــ " الشائعة هي كل قضية أو عبارة نوعية أو موضوعية مقدمة للتصديق ، تتناقل من شخص إلى شخص ، عادة بالكلمة المنطوقة ، وذلك دون أن تكون هناك معايير أكيدة للصدق "(2) ، ومن خلال هذا التعريف يتضح أن الشائعة في الغالب عبارة نوعية أو موضوعية ، تدور أحداثها حول موضوع معين أو قضية معينة ، ولهذا السبب عادة ما تكون ذات أهمية وقتية تتلاشى بانتهاء هذا الموضوع ، وقد تتضمن شيئاً من الحقيقة ، وقد تنقل بعدة وسائل .... كالإذاعة المرئية والمسموعة ، أو تنتقل بوسائل مقروءة كالصحف والمجلات والمنشورات أو على شكل كاديكايتري في نكثة ، ومما يساعد على انتشارها غيبة المعايير الأكيدة للصدق .

2ـــ وتعرف بأنها" سلوك من المسالك العديدة للجماعة ، شأنه في ذلك شأن سلوك لابد وأن يصدر عن توتر دافع يستهدف هدفاً بعينه ويسلك سبلاً تحمل الطابع المميز للجماعة "(3) ومن هذا التعريف نلاحظ ان الشائعة لابد وأن تصدر عن توتر دافع أي يوجد قلق نفسي عند مروج الشائعة يدفعه إلى إثارتها حتى يستطيع أن يحصد ثمارها .

3ـــ " الإشاعة: هي تعبير عن حالة كبت معينة ، وإذا أردنا أن نعبر عنها بلغة علمية فإنها لا تعدو أن تكون من حيث سريانها انتقالا من حالة الرأي العام الباطن الذي لا يستطيع أو لا يجرؤ على التعبير عن نفسه تعبيراً واضحاً وصريحا إلى أسلوب خفي ملتو لإثبات وجوده من خلال عمليات تعويض وتوفيق غير مباشر "(4) .

4ـــ ويمكن أن نعرفها بأنها: الترويج لخبر مختلق يوحي بالتصديق أو المبالغة بسرد خبر يحتوي على جزء ضئيل من الحقيقة ، ويتناقلها الناس بأي وسيلة من وسائل الاتصال المختلفة دون أن ترتكز على مصدر موثوق ويؤكد صحتها وتتصل بموضوع من الموضوعات محل اهتمام الناس في وقت محدد ومجتمع محدد ، وغالباً ما تكون سلوكاً مخططاً تقوم به جهة أو شخص ما لنشر معلومات أو أفكار غير دقيقة أو أحاديث أو نشر أخبار وتقارير مزيفة ، مزيفة ومجهولة المصدر ومبالغاً فيها ، أو تتضمن جزءا ضئيلاً من الحقيقة وتتعلق بالأحداث الراهنة المتعلقة باهتمامات الجمهور وذلك بغرض تشويه صورة أو للتأثير في الرأي العام تحقيقاً لأهداف معينة سواء كانت اقتصادية أم اجتماعية أم ثقافية أم عسكرية ، فهناك من الشائعات ما تكون

ذات صبغة هدفها تقويض الأمن العام وبث روح من السخط وعدم الرضا والعداء تجاه مؤسسات الدولة ، وتعتبر الشائعات صورة من صور الحرب النفسية وأفدحها وتستخدم للقضاء على الروح المعنوية ، وتروج الشائعات بصفة خاصة أثناء الحرب والأزمات وذلك أن الناس يستولي عليهم الرعب والخوف والقلق وكذلك في فترة الأحداث والموضوعات ذات الأهمية في حياة الأفراد(5)

وتهتم الشائعة عادة بموضوع معين ، والاهتمام به يكون مؤقتا ، فهي تروج في الظروف الملائمة للموضع تم تنتهي بموتها ودفنها .

والشائعة وجدت لتحقق أغراضا لدى مروجيها ، وبالتالي فإن لها مصدرا يقوم بإرسالها وقد يكون هذا المصدر شخصَاً أو مؤسسة أو دولة ، وتعمل على ترويج معلومات غير واضحة ، وتظهر غالباً في حالة الأزمات والتوترات داخل المجتمع أو خارجه وإطلاقها يحتاج إلى معرفة وتركيز على الأبعاد النفسية والاجتماعية للأفراد أو الجهات الموجهة لها وتخاطب اتجاهات ورغبات في إطار اهتماماتهم ليكون لها الأثر الأكبر وبالتالي سرعة تصديقها .

ثانياً ـ عناصر تكوينها :

1ـ الإشاعة تفترض عملية الاتصال والنقل الشفوي من خلال الكلمة المسموعة والتي تعتبر أول صور من صور الاتصال القديمة قبل الوصول إلى أساليب الكتابة وأجهزة الإعلام فكانت بداية تنقل عن طريق الهمس والسرية كمناخ صالح لانتشارها .

2ـ الغموض الذي يشوبها فهي تعتبر تعبيرا عن حالة الغموض ـ في الإعلام ونقل الأخبار وإبراز الحقائق العلمية والموضوعية كما هي وأنه إذا كان هناك إعلام واضح وصريح وكاف فإنه لا مكان للإشاعة فالإعلام المشوه وغير الواضح يعتبر عامل أساس مكون للإشاعة .

3ـ أهمية الحادثة أو الشخصية (موضع الإشاعة) وهو ما يفرض الاهتمام ويدعو إلى خلق الإشاعة وتقبلها وسريانها .

4ـ الكبت الذي يشعر به الأفراد ، هو مكون أساس للإشاعة حيث إن الإشاعة لا تعدو أن تكون من حيث سريانها انتقالاً من حالة الرأي العام الباطن الذي لا يستطيع أو لا يجرؤ على التعبير عن نفسه تعبيراً واضحاً وصريحاً إلى أسلوب خفي ملتو لإثبات وجوده من خلال عمليات تعويض وتوثيق غير مباشرة ، وهذا المكون مستخلص من تعريف سابق .

5- هناك عنصر مهم لتكوين الشائعة وهو ما يسمى بالعوامل الفكرية والنفسية المتداخلة فيها فهي كظاهرة اجتماعية تنتشر في المجتمع بفعل ظروف هذا المجتمع وبيئته وعاداته وتقاليده وأعرافه ، وظروفه النفسية ـــ فكل هذه العوامل تلعب دورا هاما في تكوين الإشاعة ، وتختلف الإشاعة من مجتمع لآخر باختلاف هذه المكونات أو العوامل .

وبشكل عام يمكن إجمال عناصر تكوين الشائعات في الآتي :

مصدر الشائعـــــــــــة : وهو الذي تنطلق منه بداية تداولها وقد يكون شخصاً أو مؤسسة أو دولة.

محتوى الشـائعة : أي موضـوعها وقد ينصـب على الجوانب الشـخصـية لفرد أو جماعة أو مجتمع .

أهـــداف الشائعة : قد تكون أهداف سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو عسكرية أو دينية.

زمـــن دورة الشائعـــــــة: أي : الفترة الزمنية اللازمة لتحقيقها .

تداول الشائعة وانتشارها : وهو عنصر أساسي لها وبدونه لا تحقق أهدافها .

تأثير الشـائعات وأثارها : والذي من أهمها إثارة القلق والخوف والشك والرعب في ظروف غـامضـــة كـالأزمـات والحروب لتكون خطراً يهـدد ســلامـة المجتمعـات واستقرارها .

المحور الثانـــــي ـ تصنيف الشائعات :

اختلف الباحثون في وضـع تصـنيف عام للشـائعات نظرا لاختلاف الدوافع الذاتية من مجتمع لآخر ولاختلاف نوعية العلاقات الاجتماعية وتشـابهها بين الناس ومع ذلك فقد تم تحديد ثلاثة معايير أساسية لتصنيف الشائعة وهي (6)

1- من حيث الزمـــن، أي: زمـــن انتشار الشـــــائعة وسرعتها : فالشائعات قد تكون :

زاحفـــــــة : ويظهر من تسميتها أنها شائعات تسير ببطء وتنتشر بسرعة كبيرة ؛ بل يعرفها الجميع وهي التي توجه ضد رجال الحكومة والشخصيات الرسمية مما سبب في الإساءة لسمعتهم بين الناس .

شائعات مسرعـــــــة : والتي تتسم بسرعة الانتشار وتجتاح المجتمع في وقت سريع وهذه تسـتند على العواطف المنتهية مثل الذعر والغضـب كالشـائعات التي تروج عن الكوارث والانتصارات والهزائم في الحروب .

شائعات غائصـــــــــــــة : وهذه "تنتشر لفترة قصيرة ثم تنخفض وحينما تتهيأ لها الظروف المواتية فتطفؤ من جديد في وقت لاحق فهي متكررة مثلما يحدث في فترات الحروب وكثيراً ما تأخذ شكل النكتة أو الفكاهة" (7) .

2ـــ **من حيث موضـوعها:** أي الموضـوع الذي تدور حوله الشـائعة : "وتختلف الشـائعات من حيث الموضـوع تبعاً لاختلاف الإقليم والجماعات المهنية والمسـتويات الثقافية وتختلف المواضـيع التي تدور حولها الإشـاعات في الأحوال العادية من أيام الحروب "(8) .

3ـ **من حيث الدوافع:** أي: الدافع من وراء الشائعة والبواعث النفسية :

أما من حيث البواعث والدوافع فيمكن تقسيمها إلى :

ـ **شائعات حالمة:** وهي التي تعبر عن الأحلام والأماني وتكون مليئة بالخيارات .

ـــ **شـائعات هادفة:** لإحداث فتنة أو انفصـال وهذه تتميز بالخبث والدهاء لبث الفرقة وإثارة الكراهية .

ـــ **شـائعات وهمية:** وهي المعبرة عن الخوف وعدم الرغبة وعادة ما تكون وهمية ومبالغا فيها الأمر الذي يؤدي إلى الإحجام عن العمل واليأس .

وقد تصنف على أساس الحالة العقلية والدوافع التي تكمن وراء سريانها :

فمن حيث طبيعتها يمكن تقسـيمها إلى شـائعات فردية – وجماعية – ومجتمعية " ومن حيث المكان فمنها الشـائعات المحلية والقومية والدولية " (9) ، أما من حيث الزمن فيمكن تقسيمها إلى شائعات غائصة ومندفعة وزاحفة .

أنواع الشائعات التي تعتمد على التطبيقات السابقة :

1ـ الشائعة الحابية (الزاحفـــــــــة): وتدخل تحت نطاق الأساس الزمني ومثل هذا النوع من الشائعات ينتشر ببطء وبطريقة سرية ويسمع بها الناس(10)

2ـ **الشائعة الاندفاعية:** والتي تنتشر بين الناس بصورة سريعة للغاية وفي وقت قصير وتتعلق بالكوارث والحروب وما يحدث من عنف وجرائم وتنطلق في أجواء انفعالية وتستند إلى عوامل الغضب والخوف والفرح أحيانا

3ـ **الشائعة الغاطسة :** وهي الإشاعات الغامضة ويتم الترويج لها تدريجياً إلى أن تبرز في الوقت المناسب مثلما ظهر في الحربين العالميتين(11)

4ـ **شائعات الأحلام والأماني:** وهي متنفس لحاجات الناس وتسبب لهم تغييراً وإشباعا لآمالهم ورغباتهم ويمكن أن تسهم في تحقيق الفرح والراحة .

5ـــ **شائعات الخوف:** في مثل هذا النوع من الشائعات يتوهم الإنسان أشياء كثيرة وتنتشر الشائعات نتيجة للخوف الذي ينتاب الإنسان وإحساس الخطر والقلق الذي يعيشه مما يفقده ثقته بنفسه في أدائه ومجهوداته .

6ـ **شائعات الكراهيـــــــــــة:** وتنطلق من مواضع عدة كالكراهية والحسد والغدر والخيانة وتصدر تعبيراً عن دوافع عدوانية من قبل بعض الناس وهي أوسع الشائعات انتشاراً وخطورة مما تسببه من نتائج سلبية .

7ـ **شائعات البعبع:** وهي التي تنتشر بسبب الخوف والقلق ووجود بعض الاضطرابات في تفكير الناس مما يجعلهم مهيئين نفسياً لاستقبال هذه الشائعات وتصديقها ، تماماً مثلما يحدث أثناء الحروب .

8ـ **الشائعات العنصرية** :(12)، كما يؤكد (بونر Bonner) بأن الزنوج واليهود هم أداة قوية لترويج الشائعات .

وهناك من ميّـز الشائعات إلى ثلاثة أنـــواع هي:

1ـ الشائعات المختلفة في كل أجزائها .

2ـ الشائعات القائمة على التشويه والمستندة إلى واقعة حقيقية .

3ـــ الشائعات التي تنطلق من أساس غير حقيقي ، وإنما من ذكرى واقع ماضي قد عاش فيه الفرد ، وهذا النوع يدمج بين الرغبة والخوف معاً .

مما سبق ومن خلال كل التطبيقات السابقة للشائعات يمكن أن ينصب اهتمام البحاث على: سرعة انتشارها ، أو زمن دورتها أو أي جانب آخر من جوانبها الزمنية، وقد ينصب الاهتمام على الموضوع الذي تدور حوله القصة ومن الممكن أن يكون الاهتمام منصباً على الحالات العقلية والدوافع المحتملة التي تكمن وراء اندفاع الإشاعة ، إلى جانب إمكانية الاهتمام بالمنصب على الآثار الاجتماعية المترتبة عليها ، وكذلك هناك من يميز أثناء بحثه بين الإشاعات المحلية ، والإشاعات الواسعة الانتشار، أو الإشاعات الجديدة والإشاعات القديمة إلى جانب الاهتمام بالإشاعات المحتملة الصدق ، وغير محتملة الصدق ، وكل ذلك يمكن أن ينطلق من هذه التطبيقات حسب المعيار الزمني ، والذي استخدمه العالم الروسي (هو باسو) فهو يرى أن " الإشاعة الحابية تنمو ببطء ويتسع انتشارها في جو من السرية حتى يكاد يسمع بها كل فرد ، وهناك إشاعات ذات طبيعة اندفاعية والتي تنتشر بسرعة فائقة كالإشاعات المتعلقة بالعنف أو الحوادث والكوارث وذلك لاستنادها إلى انفعالات قوية من الخوف والقلق والفرح المفاجئ"(13) إضافة إلى الإشاعات الغاطسة والتي تنتشر لمدة قصيرة

ثم تغطس وتتلاشـى ثم تعود لتطفو من جديد لاحقاً حينما تسـمح الظروف والمعطيات مثلما حدث في الحرب العالمية الأولى ، والحرب العالمية الثانية.

وهناك تحليل للإشاعات من زاوية الموضوع الذي تدور حوله الإشاعة والذي يعد مبدأ آخر للتصنيف حيث تنحصر مهمة الباحث في إحصاء عدد الإشاعات التي تتناول موضوعاً بعينه .

وهناك المبدأ الثالث للتصـنيف والذي يتميز بطابعه السـيكولوجي ويسـتند إلى (نمط التوتر الدوافعي الغالب) الذي تنطوي عليه الإشاعة .

وكل ما سبق يعتبر تصنيفات للإشاعة من أجل الفهم والتحليل فقط ، ولكنها في نهاية المطاف كلها شائعات مدمـــــرة لاستقرار الفرد والجماعة والمجتمع وآثارها السلبية لا يمكن تجاهلها بأي حال من الأحوال .

المحور الثالث ــ القوانين التي تخضع لها الإشاعة في تنقلا تها:

هناك مجموعة من القوانين تخضـــع لها الإشـــاعة في تنقلاتها المتتابعة ، ويمكن القول بصـفة عامة إن هناك ثلاثة قوانين تحكم سـريان الإشـاعة وعملية تطورها وهذه القوانين هي:

أولاً ـــــ قانون التغير والتشويه:-(14) ، ويقصد بذلك أن الإشاعة في أول مراحل انتقالها تفقد العناصر الجانبية أي: العناصر الفرعية ، وبمعنى آخر أن الإشاعة لا تعدو أن تكون روايـة عن واقعـة ومن ثم فهـذه الواقعـة تمثـل مركز الثقل في الإشـــاعـة ، والخصائص الأصيلة المعبرة عن حالة الكبت تصير الكواكب الأصيلة التي تـــــدور حولها جميع العناصـــر الفرعية الأخرى ، والإشـــعاعة من خلال تنقلاتها الأولى تفقد جزءا من مضمونها .

ثانياً ـــ ما يسمى بقانون التضخيم أو المبالغة : الإشاعة هي رسالة ، وهذه الرسالة تتركز حول واقعـة معينـة أو صـــفـة معينـة ، ومن خلال التنقلات المتتـابعـة في نفس اللحظة التي تفقد فيها عناصـــر جديدة وكاذبة تتضـــمن تضـــخيماً حول تلك الواقعة أو الصـفة الكاذبة ، وخلال سـريان الإشـاعة تبتدئ تكتسـب عناصـر جيدة مما يزيد من ترويجها .

ثالثاً ــ قانـــــون التنســـــيق: الإشاعة في أغلب صورها تتضمن قسطا من الحقيقة وقسطا من الكذب وإذا كانت الحقيقة ليست في حاجة إلى إضافات أو إلى منطق خاص لان منطقها الذاتي يعلن عن وجودها، فإن الكذب في حاجة إلى منطق خاص مزدوج ، منطق يؤكد الكذب ويدافع عنه ومنطق ليخلق التناســق بين الكذب والحقيقة . كل هذا

يفرض عملية قد تأخذ أسلوبا لا شعوريا ، ولكنها ضرورية ودائمة تنتج خلال نقل الإشاعة إلى خلق نوع معين من التناسق بين مختلف عناصر الإشاعة ، أي : بين ذلك القسط من الحقيقة وذلك القسط من الكذب فبعد إلغاء جزء من عناصر الواقعة أو خصائصها وإضافة جزء جديد يتضمن تشويها للحقيقة أو تضخما لبعض خصائصها فإن السلوك الجماعي وبطريقة لا شعورية ومتدرجة يتجه إلى خلق عملية إقناع واقتناع بطريق التسوية بين مختلف عناصر الرسالة الإشاعية أو التنسيق أو التأكيد على بعض مفردات الرسالة . فالقانون يمكن التعويل عليه بدرجة عالية ، ومع ذلك فهناك ظروف بعينها تقلّ فيها فاعلية هذا القانون ، فإذا كان الناس يعانون رقابة شديدة وكانت هناك عقوبات صارمة على ترديد الإشاعة فمن المحتمل أن يضبط الناس أنفسهم كثيرًا أو قليلاً . هذا بالنظر إلى الإشاعة إنما تسري بين الأفراد متشابهي العقول فحسب ، فحيث يكون في المجتمع مختلفو العقيدة أو اللغة، وحيث تقل الاتصالات بين جماعاته ، فإنه يكون من المحتمل أن تتجنب الإشاعة اجتياز الحواجز الاجتماعية ومن تم يضيق سريانها، ومع ذلك فمن الممكن أن تتعطل فاعلية القانون لسبب آخر ، فقد يحدث أحيانا عندما يتبيّن شخص ما العلة التي تجعله ينصرف على نحو بعينه فإنه سرعان ما يتصرف بطريقة مختلفة ، ويبدو الأمر في غالبية الأحوال وكأن الشخص إذا تبين له أنه يتصرف كآلة صماء يتحرر من أن يكون كذلك.

ونستطيع القول بأن الشائعة تتبع قانونا سيكولوجيا أعم ويمكن تلخصه في الآتي :

" إن الدوافع الذاتية لها ارتباط وثيق بمعادلة الشائعة الأساسية وهي تتأثر بنسبة تأثير امتزاج أهمية الموضوع وغموضه" (15) ، بمعنى: تتأثر بمدى وعي وإدراك الأشخاص ، حيث إن الإشاعة عندما يستقبلها الشخص وأثناء مرورها بمرشحات الإدراك لديه ، يتم تفسيرها وفهمها من خلال قيمه ومعتقداته وبرمجته السابقة ، فتحدث عمليات الإلغاء والتعميم بما يتوافق مع فهمه ووعيه .

المحور الرابع ـ الآثار الاجتماعية للشائعات وطريقة مقاومتها والقضاء عليها:

أولا ـ الآثار الاجتماعية للشائعات : الشائعة صورة من صور الرأي العام وتنتشر؛ لأنها تؤدي وظيفتين ملازمتين :

1- تفسير مظاهر التوتر العاطفي التي يحسها الأفراد .

2- التخفيف من هذه المظاهر .

فالشائعة سلوك من المسالك العديدة للجماعة ، شأنه في ذلك شان أي سلوك ، لابد وأن يصدر عن مؤثر دافع ـــ يستهدف هدفا معينا ويسلك سبيل تحمل الطابع المميز للجماعة في لحظة من لحظات حياتها .

وعلى ذلك ، فإن فهم نفسية جماعة من الجماعات يمكن الراغبين من أن يتبينوا التربية التي تصلح لنوع معين من (الاهتمامات) دون سواها ، ومن تم يتيح لهم أن يغطوا أرض الجماهير بورود الشائعات أو بأشواكها وكل هذا إنما يدخل ولا شك ضمن نطاق الحرب النفسية وضمن نطاق الحياة بصفة عامة ، فليست الحياة سوى سلسلة من الصراعات المتلاحقة ، ولذلك فإن ترك الشائعات تنتشر دون مواجهتها في كل مرحلة من مراحل نموها يدفع بها إلى الاستقرار والثبات لدرجة يرتبط معها الرأي العام ويصبح من العسير تخليصه من الآثار التي تسببها ، وخصوصا ذلك الدور الذي قد تقوم به الشائعات حيث يمكنها العمل على تسرب المعلومات العسكرية السرية بالنسبة للأمن القومي ، وتؤدي إلى تمييع الحقائق بين أفراد المجتمع مما يخلق تصادم في وجهات النظر بين من يصدق ومن لا يصدق ، فتحدث الفرقة، وغالبا ما تنتشر الإشاعة عن طريقة الإعلام فهو أي: الإعلام الوسيلة التي يترتب عليها نشر الأخبار والمعلومات الدقيقة التي تخاطب عقول الجماهيري لترتقي بمستوياتهم الفكرية والثقافية وإذا كانت تلك الأخبار أو تلك المعلومات غير صحيحة فهي تؤثر سلبا على عقول الأفراد خاصة وأن الإعلام يعتبر أحد أهم مصادر برمجة العقول .

وسنعرض بإيجاز بعض الآثار الاجتماعية للشائعات :

1-انتشار الشائعات في المجتمع يؤدي إلى شيوع الأمراض النفسية ويولد الغل والحقد والكراهية لدى البعض مما يؤدي إلى ضعف الروابط الاجتماعية والأسرية ، وبالتالي ضعف المجتمع ورضوخه أمام الشائعات ، واستعداده لقبول شائعات جديدة ، مما يجعله عرضة لعدم الاستقرار.

2-يؤدي انتشار الشائعات في المجتمع إلى تفككه وشعور أفراده بالخطر، خاصة إذا كانت الشائعات ذات علاقة بالأمور الدينية ، أو القيم داخل المجتمع فتنهار قيم الأفراد، وتتأثر علاقته مع الآخرين بالسلب وبالتالي ينهار المجتمع بانهيار نظامه القيمي والأخلاقي .

3-الأفراد الذين يعيشون في مجتمع تكثر فيه الشائعات يكونون أكثر عرضة للأمراض النفسية والاجتماعية وخصوصاً إذا كانت هذه الشائعات موجهة ومدروسة حسب احتياجات واتجاهات المجتمع الذي تبث فيه .

4- سـرعة انتشارها دون تدخل من الجهات المسؤولة والسيادية في المجتمع بنفيها أو تصحيح معلوماتها تؤدي للشعور بالإحباط والعزلة داخل المجتمع .
5-فقدان الثقة والمصداقية بين الأفراد ومجتمعهم الذي تكثر فيه الإشاعات ، وبالتالي لا يمكن للأفراد تصديق أي معلومة داخل المجتمع حتى وإن كانت صحيحة .
6-للإشـاعة تـأثير على الجانـب الاقتصـادي مما يؤثر على الأفراد والمجتمعات ، "وباعتبار أن الاقتصاد من أهم جوانب الحياة ، وقد تأخذ الإشاعة أشكالاً متعددة تختلف باختلاف طبيعة المجال الاقتصادي الذي ستؤثر فيه سلباً أو إيجابا مما يؤدي إلى توسيع دائرة المتأثرين بها ، ويوسع من دائرة انتشارها بين الأفراد في المجتمع ، وقد تستهدف الإشاعة نشاطا معينا أو أحد متغيرات الاقتصاد الكلي التي تؤثر في الاقتصاد القومي كسعر الفائدة والعملة المحلية ، والأسهم المحلية"(16)

ثانياً ـــــ مقاومة الشائعات والقضاء عليها : بما أن الشائعات هي جزء من الحرب النفسـية فإن مقاومتها هي مقاومة الحرب النفسـية ذاتها ، وهناك بعض الملاحظات والقواعد التي يمكن الاستعانة بها في مقاومة الإشاعة وهي :
1ـ الالتزام بتعاليم الدين الإسلامي الذي يدعو إلى التبين والتأكد من الخبر قبل تداوله ، وتأسيس الوعي الديني والمجتمعي وفق قوانين ومعايير تنظم حياة الفرد والمجتمع .
2ـــ الاهتمام بالأسرة وتعزيز دورها في التنشئة الاجتماعية وتربيتها للنشء بما يعمل على تأسـيس الوعي وبناء الشـخصـية بشـكل قوي وسـليم لا تؤثر فيه الشـائعات والاحباطات .
3ـــ دعم الاتجاهات الوطنية لدى الجماهير مما يحصـنها ضـد الإشـاعات الأجنبية ويدفعها إلى التمسك بإيديولوجيتها عن اقتناع وإيمان ولابد أن تتضافر في ذلك الهيئات التربوية والتعليمية والثقافية فضلاً عن أجهزة الإعلام والرعاية .
4ـ محاولة إفقاد الإشاعة أحد عنصريها الأساسين وهما الغموض والأهمية ، أي : أننا يمكن ان نحارب الإشاعة بالخبر الصحيح على أساس أن الإشاعة تنتشر مع عدم توفر الأخبار الصـحيحة ، إن نشـر الحقائق المباشـرة المختصـرة من شـأنه أن يفقد الإشـاعة قدرتها على أحداث الانطباع بمحتواها البسـيط الذي لا يقبل الإضـافة أو الحذف أو التحريف ، وأسلوب نشر الحقائق المختصرة أفضل من تكرار الإشاعة وتكذيبها .
5ـــ دعم أجهزة الإعلام المركزية التي يمكن للأفراد أن يتعرفوا عن طريقها مباشـرة بحقائق الموقف ـــــ وبالتالي فسـتقل العلاقات المتتابعة حيث يلجأ الفرد إلى الآخرين لاستطلاع الأخبار وصحة الأبناء .

6ــ إيجاد المؤسسات الدستورية والشعبية على مستويات مختلفة بحيث تهيئ للجماهير فرصــة التعبير عما يجول بخاطرهم بطريقة علنية مشــروعة بدلا من عمليات الهمس وأسلوب الإشاعة في التعبير .

7ـــ تحليل الإشـاعات السـارية وتحديد مصـادرها وفهم الديناميات والقوى التي تكمن وراءها ، وذلك بغرض إعداد الإشــاعات المضــادة التي تكفل تحطيم الروح المعنوية للعدو وزيادة التماسك الداخلي والوطني .

8ـ إن مقاومة الإشاعة (17) تتحدد بعلاج جوهري أساسه البحث عن شـــدة الإشاعة والتحطيم من تلك الشدة .

9ـــــ كذلك يجب أن نلاحظ أن الإشــاعة بحكم طبيعتها الجماعية تنعدم في الجهات المتشـابهة والمتجانسـة ولذلك يقال في العادة إن الإشـاعة لا تستطيع أن تجتاز الحواجز الاجتماعية ومن تم فإن مقاومة الإشـاعة ليست بالعملية الصـعبة كما يمكن أن نتصـور بمعنى أن هناك حواجز طبيعية تقف أمام انتشار ورواج الإشاعات .

10ـــ إن أنسـب وسـيلة لمقاومتها هي تكذيب الشـائعة إما بطريق غير مباشـر ، وأما بكشـف مصـدر الشـائعة وقصـد العدو منها ، وهذا يتطلب مهارة من رجل الدعاية كما يمكن مقاومتها بوسيلة خلق الوعي القومي ضد شائعات العدو .

الهوامـــــــــــــــش:

1- جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور ، لسان العرب ، ج10 ،الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ص 56.

2- الإشاعة والحرب النفسية / أبحاث الحلقة العلمية السابعة والتي عقدت بمقر المركز في الفترة من (5 - 9 يوليو 1986 م) / المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب / الرياض 1990 ص 45 .

3-الإشاعة والحرب النفسية / المرجع السابق ، ص 45 .

4- حامد ربيع / مقدمة في العلوم السلوكية / دار الجليل للطباعة والنشر والخدمات الإعلامية / دمشق / الطبعة الثانية 1981 ف .

5- عبد الرحمن العيسوي ، الحرب النفسية والدعاية ، منشورات الكلية الحقوقية ، بيروت ، 2004 ص 51.

6- محمود السيد النيل / علم نفس الشائعات / دراسة عربية وعالمية / دار النهضة العربية / القاهرة 86 ص 11 .

7- طه احمد متولي / جرائم الشائعات وإجراءاتها ـ بدون دار نشر ط2 / 1997 ص 44 - 45 .

8- المرجع السابق / ص 45 .

9- محمد هشام أبو الفتوح / الشائعات في قانون العقوبات المصري والقوانين الأخري / القاهرة / درا النهضة العربية 1995 ص 45 .

10- محمود السيد نبيل / المرجع السابق / ص 12 .

11- محمود السيد نبيل / المرجع السابق / ص 14 .

12محمد السيد نبيل / المرجع السابق / ص 14 .

13- جوردون اولبورت وآخرون / سيكولوجية الإشاعة / دار المعارف بمصر / ص 3 .

14- جوردون اولبورت وآخرون / المرجع السابق ص 188 .

15- الإشاعة والحرب النفسية / المرجع السابق ص 51 .

16- مفرح سعيد الحقباني ، الآثار الاقتصادية المحتملة لانتشار الإشاعات ، مجلة البحوث القانونية والاقتصادية ، العدد 30 ، جامعة المنصورة ، كلية الحقوق ، 2001 ، ص 485.

17- مقدمة في العلوم السلوكية / مرجع سابق / ص 315 .